

أدب الأنهار في التنزيل والأشعار دراسة تحليلية

أ. مشارك - قسم الأدب والنقد والبلاغة

كلية اللغة العربية-جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى

المستخلص:

تناول البحث أدب الأنهار في التنزيل والأشعار. نبعت أهمية البحث من المنزلة الجوهرية والمكانة القومية التي تتمتع بها الأنهار منذ القدم في إعمار الأرض وتنمية الموارد البشرية، وما تؤديه من دور مباشر في سبيل النهضة الحضارية. وهدف البحث لإبراز أدب الأنهار كواحد من الآداب العريقة التي كانت وما زالت ملهمة لمعاني الحياة الإنسانية، وما حفل به القرآن العظيم والسنة النبوية من ذكر الأنهار واستعمالاتها المتعددة في كثير من الموضوعات والمعاني، انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي. خرج البحث بعدة نتائج، منها: الأنهار من مقومات الموارد البشرية والبنى الإنسانية والاقتصاد وحد وطني وسفير بين الدول، استعمل الشعراء الأنهار في مباحث البيان من المجاز، والاستعارة والتشبيه والكتابة والتورية. وأوصى البحث بعدد من التوصيات؛ أهمها: الوقوف عند القرآن الكريم لمعرفة ما جاء فيه من معاني الأنهار ومدلولاتها، الإطلاع على الأدب العربي شعره ونثره لمعرفة ما كتبه الشعراء والكتاب عن الأنهار.

كلمات مفتاحية: أدب الأنهار، التنزيل والأشعار، تنمية الموارد البشرية، النهضة الحضارية، القرآن الكريم، السنة النبوية.

The rivers literature in the religious and poetry Descriptive Study

Dr. Siddiq Abdul Rahman Ibrahim Musa/ Co-professor

Abstract:

The research dealt with the literature of rivers in downloading and poetry. The importance of the research stems from the essential status and national status that rivers have enjoyed since ancient times in the reconstruction of the land and the development of human resources, and the direct role they play in the path of civilizational renaissance. The aim of the research is to highlight the rivers literature as one of the ancient literatures that was and still inspires the meanings of human life, and what the Great Qur'an and the Sunnah of the Prophet were full of about mentioning rivers and their multiple uses in many topics and meanings, the research followed the descriptive analytical approach. The research came out with several results, including: rivers are among the components of human resources, human structures, the economy, a national unit and an ambassador between countries. The research recommended a number of recommendations; The most important of them: to stand at the Noble Qur'an to know what it says of the meanings of rivers and their implications, to see Arabic literature, its poetry and prose, to know what poets and writers wrote about rivers.

Keywords: rivers literature, religious and poetry, human resource development, civilizational renaissance, the Noble Qur'an, the Sunnah of the Prophet

المقدمة:

الأنهار من أعظم منن الله على أهل الأرض فهي من مقومات الموارد البشرية ومن دعائم البنى الإنسانية، وعصب الحياة الاقتصادية، وزينة الأرض والمساكن وبهجة الناظر وملجأ الظمآن وغوث الجياع وطريق الركبان والتجارة، وروح الزروع والبستان، ومظنة الخيرات ومستودع البركات وسلّة الغذاء، ومصدر الطاقة والأنوار، فالأنهار ركن أصيل من مرتكزات المجتمع تستمد منه الحياة مطالب تقدمها وازدهارها، فكانت الأنهار شريكا في توفير المعارف والعلوم الشرعية والتعليم والصحة والأمن والاستقرار، وحفظ وكفالة العيش والمأوى، فهي مركب قومي لا يهمله الدارسون ولا يغيب فضله عن الباحثين، فعلى رفدها تقوم المنافسات فكّم كانت سفيرا واصلا بين دولة وأخرى، وحدا وطنيا بين بلاد وبلاد، وطوقا حاميا وحافظا للجزر والأملاك، ولقد أهتم الشعراء والكتاب بالأنهار وثمراتها، فتناولوها بالإعجاب ونظموا فيها القوافي وألّفوا الكتب، وكانت الأنهار محط أنظار الخلفاء والملوك والرؤساء فعلى ضفافها تصفو حياتهم وتشاد قصورهم وتتفتق بساتينهم وتوثق حصونهم، فما من أرض يجري خلالها نهر إلا وارتفع سهمها وذاع ذكرها واحتشد أهلها، فالحياة مع الأنهار من أروع صور الحياة القديمة في هذا الكون، ولذلك نسعى في هذا البحث للتوثيق لصور وأنواع ومعاني الحياة في ظلال الأنهار ومنافعها وفوائدها، ولقد حفل الشعر العربي بذكر الأنهار وما كان لها من دور في إلهام الشعراء والكتاب لإبراز منزلتها بين الناس، واستعمل الشعراء الأنهار في مباحث البيان من المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية، والتورية، ولقد جاء ذكر الأنهار في القرآن العظيم والسنة النبوية لما لها من دور في حياة الناس ومخلوقات الله في هذا الكون المنظور، ولقد تعددت معاني واستعمالات الأنهار في الذكر الحكيم وجاءت في موضوعات مختلفة، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، وكان المبحث الأول بعنوان: الأنهار في الأشعار، والمبحث الثاني بعنوان الأنهار في القرآن والسنة.

١. الأنهار في الأشعار

أدب الأنهار من الآداب التي تناولها الشعراء بكثرة قديما وحديثا، ودارات معاني تلك القوافي في موضوعات اجتماعية متعددة، وكان ذلك الاهتمام تبعا لتأثير الأنهار في حياة الناس، وما تركته من انطباع في مألوف سلوكهم، وفي هذا المبحث نقف على دور الشعراء في استخدام لفظ الأنهار مفردا أو جمعا في المواقف الأدبية المختلفة بحسب ما يتطلبه ميزان الشعر.

قال البحري

قد نلت بالرأي والتمييز منزلةً ما نالها أخواك البحر والمطرُ

وبالتكرم والأفضال مرتبةً لم يُعْطها خادماك السيْفُ والقدر

قالوا أيمطرُ من محل أمْ به فقلتُ قد تمطرُ الأنهارُ والغدرُ

مألٌ يبددهُ في جمع مكرمةٍ فالمجْدُ مجتمَعُ والماءُ منتشرُ

كروضةٍ أخذت بالغيثِ زُحْرُفَها فالرَوْضُ منتظمٌ والغيثُ منتشرٌ^(١)

انظر إلى هذا الشاعر كيف تلاعب بالألفاظ والقافية وروضها ترويضاً لخدمة الممدوح في ذكر مآثره فقد جعل في البيت الأول للممدوح أخوين هما المطر والبحر وكلاهما ماء فهذا في الأعالي وذاك في الاسفل،

وفي البيت الثاني جعل له خادمين هما السيف والقدر ليقابل ذلك بالرأي والتميز والتكرم والإفضال، وفي البيت الثالث، استعمل الأنهار استعمالاً مقلوباً مبالغاً في الوصف والكرم بقوله: قالوا أيطر من محل ألم به، يعني هل يطر الممدوح ليسقي نفسه بنفسه، فقال الشاعر: فقلت قد تخطر الأنهار والغدر جمع غدير وهو مكان تجمع الماء، فالشاعر أمعن في المدح عندما جعل الأنهار تخطر لتسقي نفسها بنفسها فهي مبتدأ الإمطار ومنتهاه، وكذلك الممدوح يغدق الخير بنفسه على نفسه فيكون ذلك نور على نور.

قال كعب بن مالك

يا حفص إنيّ عدائي عنكم السفر وقد سهرت فأردي عيني السهر
خبوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا بكازرون فما عزّوا ولا نصروا
باتت كتابنا تردي مسلّمة حول المهلب حتى نور القمر
هناك ولّوا خزايًا بعدما هزموا وحال دونهم الأنهار والجدر
تأبى علينا حزازات النفوس فما نبقى عليهم ولا يبقون إن قدروا⁽²⁾

وكعب فارس وشاعر وخطيب معدود في جلة أصحاب المهلب المذكورين في حروب الأزارقة يكنى أبا مالك، وروى العتبي أنه لما وفد على الحجاج استفتح القول بإنشاده قصيدته أعلاه، فضحك الحجاج وقال: إنك لمنصف يا كعب، أخطيب أنت أم شاعر؟ قال شاعر خطيب، ولقد استخدم الشاعر الأنهار للهجاء إذ أن الأعداء تحصنوا خلفها بعد هزيمتهم.

قال الشاعر

مغاظ ليس لها حيلة إلا انتظار الحين والوقت
يا مالكا يجعل قواده قوماً غدوا عليه باللفت
يحسد فرعون على قوله وهذه الأنهار من تحتي
لا جبر الله بني جابر وزادهم مقتاً إلى مقت
إن تأتته في حاجة يعتذر عذر يهود غدوة السبت⁽³⁾

الشاعر استخدم الأنهار للذم والهجاء عندما اقتبس بعض معاني القرآن العظيم في شأن فرعون، يقول يحسد فرعون وهو في وضع لا يحسد عليه لأنه من أهل النار، فالشاعر بين سفه المذموم وقلة عقله وهوانه وطيشه.

قال الشاعر

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه ريش جناحه الطاووس
فكأماً الأنهار فيه مدامة وكان ساحات الديار كؤوس⁽⁴⁾

استخدم الشاعر الإعارة لفظاً عندما قال في البيت الأول: بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه ريش جناحه الطاووس، ليقول في البيت الثاني: فكأماً الأنهار فيه مدامة وكان ساحات الديار كؤوس، فالتشبيه واضح في قول الشاعر لورود حرف التشبيه الكاف، وهو تشبيه هيئة مركبة بأخرى مثلها، لأنه استخدم من الأنهار الجمع وليس نهراً واحداً، فجعل صورة الأنهار بجريانها وتشعبها وتداخلها كأنها أوعية تحمل المدامة وتهيئها للمتذوقين، وكان الديار وسوحها الواقعة حول تلك الأنهار والمطلّة على ضفافها كأنها آنية وكؤوس يرتشف ويستقي بها سكان تلك الديار.

قال الشاعر

يا حسن أندلسٍ وما جمعت لنا فيها من الأوطار والأوطان
نسج الربيع نباتها من سندسٍ موشيةً ببدايح الألوان
وغدا النسيم بها عليلاً هائماً بربوعها وتلاطم البحران
يا حسنهما والطلّ ينثر فوقها درراً خلال الورد والريحان
وسواعد الأنهار قد مدّت إلى ندمائها بشقائق النعمان
وتجاوبت فيها شواذي طيرها والتفت الأغصان بالأغصان⁽⁵⁾

لقد أرسل الشاعر سيلا من أبحان الشعر فتدفقت عذوبة وجمالا وهو يصف الأندلس وريبعها الأخاذ إلى أن قال: وسواعد الأنهار قد مدت إلى ندمائها بشقائق النعمان، ونراه استخدم الاستعارة بقوله سواعد الأنهار ومن المعلوم أن الساعد يكون في الإنسان وغيره من الكائنات الحية، ولكن الشاعر أضاف السواعد للأنهار لتشبيهها بالإنسان وحذف المشبه به الإنسان ورمز له بلازمة من لوازمه وهي الساعد، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، ومعنى كلام الشاعر أن أيدي الأنهار مدت بالورود والأزهار إلى من حولها من الأصحاب والندمان، وشقائق النعمان يقصد بها الأزهار الحمراء ذات اللون الجميل، وسميت بذلك لأن الملك النعمان بن المنذر بن ماء السماء عندما مات وقُبر نبتت على قبره تلك الزهرة الحمراء الجميلة وسميت شقيقة النعمان وجمعت على شقائق النعمان، وأصل الخبر أن ملك روسيا طلب من النعمان التنحي جانبا عن نساء العرب وتركهن للجيش الروسي فرفض النعمان ذلك العرض المخزي وقاتل عن نساء العرب حتى قتل دونهن فلما قُبر نبتت شقائقه على قبره! القصة.

قال الفرزدق

فلأمدحن بني المُهلبِ مدحةً غراءَ ظَاهِرةً على الأشعار
مثل النُجومِ أمامها قمر لها يجلو الدجى ويضيء ليل الساري
ورثوا الطعان عن المُهلبِ والقرى وخلاتقا كتدفق الأنهار⁽⁶⁾

هذه قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المُهلبِ وخص من بينهم ابنه يزيد أولها المذكور أعلاه، ونجده يفتخر في البيت الثالث بإرث آل مهلب من الطعان وضراب الأعداء والقرى والكرم، وخلاتق وطباع أخري تجري وتتدفق وتسيل وتنهمر وكأنها أنهار.

قال الشاعر

فتانة أجرت الأنهار من دمننا لا يفعل الظالم المغرور ما فعلت
ليست لها غاية في قتل عاشقها إلا الثواب جزاها الله ما عملت
نصح العواذل لا يأتي بفائدة تلك المواعظ منهم هفوة بطلت⁽⁷⁾

قال الشاعر في أول بيت: فتانة أجرت الأنهار من دمننا، ويعني أن معشوقته تسببت في تدفق دماءه وهذا ما يؤدي إلى التهلكة والموت، ولقد استخدم الشاعر أنهار الموت كناية عن مهالك الردى التي أوردتهم إليها المعشوقة من خلال ما فعلت بهم من الأفاعيل المعنوية.

قال محمد سليم القصاب

ما الشام إلا جنة الأمصار تزهو بغوطتها على الأقطار
فيها الرياضُ الزاهرات محاسناً فانهب بنا ننشقُ شذا الأزهارِ
قد هبَّ فيها الرياحُ يرقصُ غصنها والطيرُ غنى في عُلى الأشجارِ
وتفجرت فيها المنابع إنَّها دُوبُ اللجينَ بجدول الأنهارِ
هي موطني دون البلاد وبغيتي فيها انتعاشي وانقضا أوطار⁽⁸⁾

الشاعر يصف موطنه الشام كما تبين الأبيات، ولكنه في البيت الرابع استخدم الأنهار للتشبيه الذي اختاره لبيان خيرات بلاده فذكر ينابيع ثرواتها التي تجري وتتدفق كتدفق الفضة السائلة مثل مياه الأنهار، والمعنى البياني أن ينابيع الخير تفجرت وآتت ثمارها كتدفق الفضة السائلة الجارية كالأنهار، ولقد حذف الشاعر أداة التشبيه وهي الكاف وذكر وجه الشبه وهو الجريان، ليكون التشبيه مرسلاً مفصلاً.

قال ثابت قطنة

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه وتابعوك وساروا
ولقد بسطت لهم يمينك بالندی مثل الفرات تمده الأنهار
حتى إذا شرق القنا وجعلتهم نصب الأسنة اسلموك وطاروا
شهدتك من يمن عصائب ضيعت ونأى الذين بهم يصاب الثار⁽⁹⁾

الشاعر يؤيد الممدوح ويزيده ثناء بعد أن بايعته القبائل وأيدته بالخلافة، ثم يشبه الخليفة بنهر الفرات الشامخ بفضل ما يأتيه من السند من الأنهار الصغيرة فهذا حال الممدوح بين مؤيديه ومسانديه، والمعنى أن الممدوح صفته دائماً الخير وبذل الندى كما بين صدر البيت عند قول الشاعر: ولقد بسطت لهم يمينك بالندی، وهذه كناية عن الجود والكرم الذي اتصف به الممدوح وعشيرته فكان مثله كمثل نهر الفرات ومن حوله الأنهار الصغيرة التي تمده بفيض الماء وهو يرسله في مساعي الخير وإعمار الأرض.

قال أبو نواس

فلم نزل في صباح السبت نأخذها والليل يأخذنا حتى بدا الأحد
واستشرفت غرة الإثنين واضحةً والجدي معترضٌ والطالعُ الأسد
وفي الثلاثاء أعملنا المطيَّ بها صهباء ما قرعتها بالمزاج يدُ
والأربعاء كسرنا حدَّ شَرَّتْها والكأس يضحك في تيجانها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليته قصفاً وتم لنا بالجمعة العددُ
في مجلس حوله الأشجار محدقةً وفي جوانبه الأنهار تطرد⁽¹⁰⁾

هذا الشاعر جعلاً لأنهار ختاماً لمشهد من الفكاهة والهزل إذ جعل الأنهار وما حولها من الأشجار مسرحاً لتناول الشرب وعلى مدى أيام الأسبوع بدءاً من السبت وانتهاءً بالجمعة، فالأنهار جاء استعمالها لدواعي الهوى والميول الشخصي.

قال كشاجم

وصوبُ سحابِ غادرِ الأرضِ لَجَّةً فأضحى بها ضُبُّ الفلاةِ مُلَجَّجًا
وأضرم فيه البرقُ شعلَةً نارِه على فحمةِ الليلِ البهيمِ فأجَّجًا
وسيقَت به كوم السحابِ حَقْلًا وحركها حادي الرعودِ فأزعجا
وصقَّت الأنهارُ فيها ومالت الغصون وغنَّأها الحمامُ فهزَّجا⁽¹¹⁾

وصف الشاعر السحاب والبرق والرعد وكل هذه المناظر علوية ثم انتقل إلى الأرض ليصف الأنهار وانطلاقها عقب الأمطار فقال وصفقت الأنهار فيها، والتصفيق يكون طربا بحدوث المأمول، ولكن تصفيق الأنهار جاء بصيغة الاستعارة لأن التصفيق للبشر والبشر هنا مشبه به والأنهار مشبه فحذف المشبه به ورُمز إليه بلازمة من لوازمه وهي التصفيق على سبيل الاستعارة المكنية.

قال الحسن أبو السعود

تشتت قلبي في البلاد فقسمة بمراكش منه على رجل طائر
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
وأخرى بفازاز وأخرى تجزأت بملوية الأنهار بين العشائر
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتي بأهل البوادي منهم والحواضر
فيا رب فاجمعها فإنك قادر عليها وما غير الإله بقادر⁽¹²⁾

ما زالت الأنهار ترد في اختيارات الشعراء في الترويح عن النفس وتنفيس همها، فهذا الشاعر يشكو تقسم قلبه إلى سبعة أجزاء وتمزقه وتفرقه في الديار التي ذكر منها: مراكش، وخلفون، ومكناسة الزيتون، وفازاز، وملوية الأنهار، والغرب في البادية، والحضر، فالأنهار بملويتها قد أصابت جزءا من فؤاد الشاعر الذي دعا الله أن يجمعها له بقدرته.

قال الشاعر

اشرب على طرب من نهر طالوت حمراء صافية في لون ياقوت
من كَفَّ ساحرة العينين شاطرة تربي على سحر هاروت وماروت
لها تماويت ألاحظ إذا نظرت فنار قلبك من تلك التماويت⁽¹³⁾

قد ابتلي بنو إسرائيل بنهر طالوت، أحل منه الغرفة والغرفتين وحرّم منه الرّي؛ وقد ابتلي أهل الكوفة بالنبيذ، وقد أحلّ منه القليل وحرّم منه الكثير، وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ: نهر طالوت؛ ولذلك قال فيه شاعرهم أبياته آنفة الذكر.

قال عبدالله بن طاهر

قد يخون الرّمح عامله وَسَتَانِ الرّمحِ مصقول
وينال الوتر طأل به بعدها تسلو المثاكيل
سار أوحل فمتبع بِالتّي يكبو لها أفييل
لَا تنجيه مذاهبه نهر بوشنج وَلَا التّيل⁽¹⁴⁾

الشاعر استعمل النهر للحكمة ومقارعة المستحيل بعد أن بين بعض مجاري المقادير التي تسير بقدره الله وتديره، فعلى الإنسان أن يسلم بما قدر الله له ولو كان يري من الأسباب التي بين يديه ما قد يقريه بأن النتائج لصالحه وكما يتوقع هو، ولكن يحدث العكس أحيانا، وينطبق عليه المثل القائل تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فحينئذ لا تجدي السبل، ولذا قال الشاعر إن الإنسان يصيبه ما كُتِب له ولو تحصن بالأنهار كنهز بوشنج أو نهر النيل.

قال ابن الحجاج

يا صاحبيّ تيقظا من رقدة تُزري على عقل اللبيب الأكيِس
هذي المجرة والنجوم كأنها نهرٌ تدفّق في حديقة نرجس
وأرى الصّبا قد غلّستُ بنسيمها فعلامَ شربِ الراح غيرَ مُغلّسٍ⁽¹⁵⁾

ذكر الشاعر النهر في البيت الثاني في مقام التشبيه إذ أنه شبه مرگبا بمرگب عندما قال: هذي المجرة والنجوم كأنها نهرٌ تدفّق في حديقة نرجس، يعني المجرة وهي مجموعة من الكواكب والنجوم من حولها وهذه صورة منتزعة من متعدد، شبهها الشاعر بنهر قد أفاض بمائه على حديقة تنتشر فيها أزهار النرجس فغطتها المياه فصارت أشبه بصورة النجوم المتألأة في عرض السماء المبسوط كالنهر، فبين أيدينا الآن صورتان إحداها في السماء والأخرى في الأرض وقد جمع الشاعر بينهما بالتشبيه المنتزع من صورة يتخيلها العقل وهي تتركب من أجزاء لو غاب عنها جزء لذهب حسن التشبيه.

قال محمد بن موسى القاساني

بلا تبني يعيش ولا قضيم ولا الموجود من برد الشراب
سوى ورق الحجارة أو خليط يثير الريح مع ظلّ السحاب
ويقضم كلّ يوم كَفّ شمس إذا ما الشمس حانت لاغتراب
وإن يعطش وردت به هجيرا على نهر يلوح من السراب⁽¹⁶⁾

جاء استعمال النهر في الأبيات أعلاه تعبيرا عن بُعد المستحيل وعدم إمكان تحقيقه في قول الشاعر: وإن يعطش وردت به هجيرا على نهر يلوح من السراب، فالسراب الذي يلوح من بعيد وكأنه نهر إنما هو خدعة تبدو للناظر فيحسبها نهرا من الماء للتشابه بينهما في الصورة.

قال المهذب بن الزبير

وترى المجرة في النجوم كأنها تسقي الرياض بجدول ملآن
لو لم تكن نهراً لما عامت به أبداً نجوم الحوت والسرتان⁽¹⁷⁾

جاء استعمال النهر في البيت الثاني من قول الشاعر للتورية: لو لم تكن نهراً لما عامت به أبداً نجوم الحوت والسرتان، ذكر النهر ويعني به المجرة ثم ذكر الحوت والسرتان وخصها بالعموم وهي الحيوانات التي تعيش في المياه والأنهار، ومن المعلوم أن الحوت والسرتان من نجوم السماء وهي تجاور المجرة وتجاوئ الأرض، فالنهر هنا للتورية التي هي ذكر معنيين أحدهما قريب غير مراد والآخر بعيد مراد، فالمعنى المراد هو كون المجرة أشبه بالنهر لأنها تسقي الرياض بجدول ملأى ولذلك علل عوم الحوت والسرتان فيها تعليلا معنويا يتخيله الإنسان، وذلك على خلاف العوم المادي الذي تفعله الحيوانات في البحار والأنهار وهذا هو المعنى القريب غير المراد.

قال علي بن خلف

ألا أيها المولى الذي نهر جوده يزيد وعاصي أمره الدهر ينقص
إليك اشتكائي من دمشق وبردها وما أنا فيه من أمور تنقص
وإني في عرس من البرد دائم تصفّق أسناني وقلبي يرقص⁽¹⁸⁾

ذكر الشاعر هذه الأبيات في طلب كسوة الشتاء وأورد لفظ النهر للبيان عن طريق الكناية عندما قال: ألا أيها المولى الذي نهر جوده يزيد وعاصي أمره الدهر ينقص، فزيادة نهر الجود كناية عن سعة عطاء الممدوح وكثرة إنفاقه، ثم أتبع الشاعر هذه الكناية بالفكاهة في البيت الأخير عندما قال: وإني في عرس من البرد دائم تصفّق أسناني وقلبي يرقص، والمعنى إنه في احتفال مستمر مع البرد بين التصفيق والرقص، فالصفيق من الأسنان والرقص من القلب وخفقانه.

من خلال الوقوف على لفظ الأنهار ومفرده في الشعر العربي نجد أن تلك المفردات استعملت في: الفخر والمدح والهجاء والذم، والكديّة، ووصف الطبيعة، والهوى، والفكاهة والهزل والترويح والتسلية، والحكمة والمستحيل، وفي مباحث البيان من المجاز والاستعارات والتشبيهات والكنايات والتورية.

الأنهار في القرآن الكريم والسنة النبوية:

لقد ورد استعمال لفظ الأنهار في القرآن والسنة بصيغة الجمع والإفراد ودل على معاني متعددة عبرت عن مدلولات كثيرة هي من لباب الأدب الإسلامي، وفي هذا المبحث نقف على تلك التعبيرات وما صاحبها من أساليب التنزيل ورمزيتها في الإطار الأدبي، ونقف أولاً عند القرآن العظيم.

قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ مَمْرَةٍ رُزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ يُسْرَرُ لَهُمْ فِيهَا نُحُورٌ أَمْسَسَ اللَّهُ لَهَا لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِبْلَاحِ بَشَارَتِهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدَقُوا إِيمَانَهُمْ وَإِقْرَارَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّد، بَشِّرْ مِنْ صَدَقِكَ أَنْكَ رَسُولِي وَأَنْ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ فَمَنْ عِنْدِي، فَمَنْ حَقَّقَ تَصَدِّقَهُ بِأَدَاءِ الصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي افْتَرَضْتُهَا عَلَيْكَ، وَأَوْجِبْتُهَا فِي كِتَابِي عَلَى لِسَانِكَ، أَنْ لَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَاصَّةً، دُونَ مَنْ كَذَّبَ بِكَ وَأَنْكَرَ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى⁽¹⁹⁾). الأنهار للبشرى والجزاء بالسرور.

قال الله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)⁽²⁰⁾، جاء في تفسير الآية: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ أَي غَلِظَتْ وَبَيَسَتْ، وَذَهَبَتْ الرَّحْمَةُ وَالخُشُوعُ مِنْ بَعْدِ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ، وَمَسَخَ الْقَرْدَةَ وَالخَزَائِرَ وَرَفَعَ الْجِبَلَ، وَمِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ فَأَعْذَرَ الْحِجَارَةَ وَعَابَ قُلُوبَهُمْ، حِينَ لَمْ تَلَنْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَلَا بِالْمَوْعِظَةِ وَيُقَالُ أَرَادَ بِهِ حَجَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ الْعَيْونُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ، أَي مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَتَصَدَّعُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَيُقَالُ: أَرَادَ بِهِ الْجِبَلَ الَّذِي صَارَ دَكًّا حِينَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ⁽²¹⁾. إن الأنهار تتفجر بإذن الله من الصخور والأحجار بتأييد الله وقدرته.

قال الله تعالى: (أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (٣٣)، قوله تعالى: أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء أي صغاراً، فأصابها إعصار أي ريح فيه نار فاحترقت، إن الله ضرب هذا المثل للذي يعمل عملاً، ثم يحبطه براء في آخر عمره، فيفوته ذلك ولا ينفعه في أحوج حال يكون إليه؛ كالذي له بستان ذات أشجار، وثمار وأنهار، فيدركه الكبر، وله عيلة كبيرة وأولاده صغار، فلما قرب إدراكه واحتاج إليه، أصابته نار فاحترقت، فيفوته ذلك وهو أحوج إليه (٣٤). الأنهار لبيان قدرة الله على إذهاب نعمه وإبدالها بالنعم.

قال الله تعالى: (قُلْ أَتَبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (٣٥)، قوله تعالى: أَتَبْتُكُمْ أي أخبركم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله، عن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَيْبِكَ يَا رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرِ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ مَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نَطْعُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطَيْتُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحَلَّ لَكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٣٦). فالأنهار خير ما يجازى به العبد يوم القيامة.

قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (٣٧)، روي أن أم سلمة قالت يا رسول الله، إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء، فنزلت من ذكر أو أنثى، ثم فصل أعمال العمال، وما أعد لهم من الثواب، فالذين هاجروا وفارقوا الأوطان والأصحاب، وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي بسبب إيمانهم وقاتلوا الكفار وماتوا في الجهاد أو قتل بعضهم، لأكفرن عنهم سيئاتهم وأمحوها، ولأدخنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً وإحساناً من الله الذي لا يعجزه شيء (٣٨). الأنهار جزاء المجاهدين المخلصين ممن قدموا أرواحهم هبة في سبيل الله ومحبيته ورضوانه،

قال الله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إنني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) (٣٩)، المعنى: أن موسى جعل على قومه اثني عشر نقيباً على كل سبط نقيباً، وبعثهم إلى مدينة الجبارين ليستخبروا عن حالهم، فلما رجعوا، خوفوا بني إسرائيل من قتالهم، وخالفوا أمر موسى إلا رجلاً منهم، وقال الله تعالى: إنني معكم بالنصر، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعظمتوهم، ونصرتموهم، وأقرضتم الله قرضاً حسناً، وهو إخراج الزكاة، والنفقة على الأهل، والذكر لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ طريق الحق (٤٠). الأنهار زينة الجنات فهي تجري من تحتها، وأبعد ما يكون عن تلك الجنان الكفار الضالين عن سبيل الله.

قال الله تعالى (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^(٣١)، جاء في تفسير الآية: من تجل ميراث صدقه في دنياه من قبول حصل له من الناس، أو رياسة عقدت له، أو نفع وصل إليه من جاه أو مال، فلا شيء له في آجله من صواب صدقه، لأن الحق سبحانه نص بأن يوم القيامة ينفع فيه الصادقين صدقهم، ويثيبهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، ورضاء الله عنهم ثناؤه عليهم وتخصيصهم بأفضاله، ورضاؤهم عن الله وصولهم إلى مناهم فهو الفوز العظيم والنجاة الكبرى^(٣٢). الأنهار جزاء الصادقين في الآخرة وهي من رضوان الله وعظيم فوزه والنجاة من عذابه.

قال الله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)^(٣٣)، معنى الآية: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ من كفار مكة مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ وأعطيناهم من المال والولد مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ، وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا أي المطر متتابعاً كلما احتاجوا إليه، وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ وعذبناهم بِذُنُوبِهِمْ وبتكذيبهم رسلهم وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ والقرن أهل كل مدة فيها نبي أو فيها طبقة من أهل العلم، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خير القرون أصحابي ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ^(٣٤). الأنهار للهلاك والتدمير والوعيد وبيان سوء الخاتمة.

قال الله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)^(٣٥)، معنى الآية وعد وإخبار قاطع بأن جميع المؤمنين هم أصحاب الجنة، ولهم الخلد فيها، والموعودون: هم الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الصالحات، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فهم أهل الجنة دون سواهم، وهم المخلدون فيها أبداً، وتجري الأنهار من تحت غرفهم وبساتينهم النضرة^(٣٦). الأنهار مراتع الإخوان في الله يوم القيامة تجمعهم على رضوان الله ورحمته.

قال الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^(٣٧)، معنى الآية: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، وهم الذين صلوا إلى القبيلتين مع النبي صلي الله عليه وسلم، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وشهدوا بدرأ، أولئك لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وكانت الهجرة قبل أن تفتح مكة، فلما فتحت مكة كان من أسلم بعد الفتح ولحق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو تابع^(٣٨). الأنهار جزاء من سبق للإسلام من المهاجرين والأنصار ومن سار على نهجهم في الحياة الدنيا.

قال تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ)^(٣٩)، المعنى: مَثَلُ الْجَنَّةِ وصفتها أن الأنهار تجري من تحتها، أُكُلُهَا دَائِمٌ أي ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وَظِلُّهَا لا يزول ولا تنسخه الشمس، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا المصير إلى الجنة^(٤٠). الأنهار من صفات الجنة وأوصافها وهي موعود الأتقياء وعاقبتهم،

قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ)^(٤١)، المعنى: الله أنزل من السماء ماء أخرج به

رزقا هو الثمرات وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ لِأَجْلِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ ذَلِكَ الرِّزْقِ الَّذِي هُوَ الثَّمَرَاتُ، وَغَيْرِهَا مِنْ بِلْدٍ إِلَى بِلْدٍ آخَرَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ يَعْنِي ذَلَّلَهَا لَكُمْ تَجْرُونَهَا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَمَا كَانَ مَاءَ الْبَحْرِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي سَقْيِ الزَّرْعِ وَالثَّمَرَاتِ وَلَا فِي الشَّرَابِ أَيْضًا ذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي تَسْخِيرِ الْأَنْهَارِ وَتَفْجِيرِ الْعَيُونِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْحَاجَةِ^(٤٢). الْأَنْهَارُ مِنْ تَسْخِيرِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

قال تعالى: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا*) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا^(٤٣)، المعنى: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا نَعْنَتًا وَاقْتِرَاحًا بَعْدَ مَا لَزِمْتَهُمْ الْحُجَّةَ بَيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَإِنْضِمَامِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ إِلَيْهِ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ يَكُونُ لَكَ بَسْتَانٌ يَشْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ^(٤٤). الْأَنْهَارُ عَلَامَةٌ الْمُقَدَّرَةِ وَالتَّحْدِي وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ بِالثَّمَارِ وَالْجَنَانِ.

قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا)^(٤٥)، المعنى: تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَهِيَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا مَشِيدَةً فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ^(٤٦). الْأَنْهَارُ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَثَابُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الدَّارَيْنِ. قال تعالى: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)^(٤٧)، المعنى: وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ مِنَ الْقَبْطِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي، أَي: مِنْ بَيْنِ يَدَيِ فِي الْجَنَاتِ، أَفَلَا تَبْصُرُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَلِكِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَوْسَى مِنَ الْفَقْرِ وَعَيْيِ اللِّسَانِ^(٤٨). الْأَنْهَارُ لِلزَّيْنَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَإِظْهَارِ الْمَلِكِ.

قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)^(٤٩)، المعنى: إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّهُمْ أَنْعَامٌ، لَيْسَ لَهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا بُطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ، سَاهُونَ عَمَّا فِي عَدِهِمْ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» أَي مَقَامٌ وَمَنْزِلٌ^(٥٠) الْأَنْهَارُ لِلْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ. قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ)^(٥١)، أَي إِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللَّهِ بِطَاعَتِهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي بَسَاتِينِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْهَارٍ، وَوَحْدِ النَّهْرِ فِي اللَّفْظِ وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ^(٥٢). الْأَنْهَارُ جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ. قال الله تعالى: (كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا)^(٥٣)، المعنى: كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهُمَا أَي ثَمَرَهَا وَزَرْعَهَا، وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ شَيْئًا أَي اسْتَكْمَلُ جَمِيعِ ثَمَرِهَا وَزَرْعَهَا، وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا يَعْنِي أَنْ فِيهِمَا أَنْهَارًا مِنَ الْمَاءِ، فَيَكُونُ ثَمَرُهَا وَزَرْعُهَا بِدَوَامِ الْمَاءِ فِيهِمَا أَوْفَى وَأَرْوَى^(٥٤). تَفْجِيرِ الْأَنْهَارِ لِإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَإِظْهَارِ الزَّيْنَةِ وَسَقَايَةِ الزَّرْعِ.

قال تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(٥٥)، المعنى لَمَّا خَرَجَ طَالُوتُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَكَانُوا فِي حَرٍّ شَدِيدٍ سَكَّوْا قَلَّةَ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ فَقَالُوا: إِنَّ الْمِيَاهَ قَلِيلَةٌ لَا تَحْمِلُنَا فَادْعُ اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ لَنَا نَهْرًا، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ مُخْتَبِرُكُمْ بِنَهْرِ لِيَرَى طَاعَتَكُمْ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِي وَطَاعَتِي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي

إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ^(٥٦). الأنهار للابتلاء والامتحان.
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا
 بِنَابٍ أَحَدَكُمْ يَخْتَسِلُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ» قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ:
 «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا^(٥٧). النهر في الحديث م ضرب المثل لتقريب المعنى.
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَحَانُ وَجِيحَانُ، وَالْفِرَاتُ
 وَالنَّيْلُ كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ^(٥٨). إن من أنهار الأرض ما كان أصله واسمه في الجنة.
 وَعَنْ كَعْبٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا، سَأَلَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: مَتَى يَخْرُجُ الدَّجَالُ؟ فَقَالَ: أَيُّهَا السَّائِلُ، إِذَا مَا
 رَأَيْتَ السَّمَاءَ قَدْ قَحِطَتْ قَدْ قَحِطَتْ فَلَمْ تُمَطَّرْ شَيْئًا، وَرَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ أَجْدَبَتْ فَلَمْ تَنْبُتْ شَيْئًا، وَرَجَعَتِ الْأَنْهَارُ وَالْعَيْوُونَ
 إِلَى عَنَاصِرِهَا، وَاصْفَرَ الرَّيْحَانُ، فَانظُرِ الدَّجَالَ مَتَى يُصِحُّكَ أَوْ يُمْسِيكَ^(٥٩). جفاف الأنهار من علامات الساعة.
 عَنْ حَكِيمِ بْنِ مَعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ،
 وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَفَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدَ^(٦٠). الأنهار روافد لبحار الخير والنعيم من ملذات الجنان.
 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، يُذَكِّرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فِيمَا سَقَتِ الْأَنْهَارُ وَالْعَيْمُ
 الْعُشُورُ، وَفِيمَا سَقَتِ السَّائِيَةَ نِصْفُ الْعُشُورِ^(٦١). الأنهار من مقاييس زكاة الزروع.
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ
 مَسِيرَةٌ مِائَةٌ عَامٌ، وَقَالَ عَفَّانُ: كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْهَا تَخْرُجُ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ،
 وَالْعَرْشُ مِنْ فَوْقِهَا وَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ^(٦٢). الأنهار تنبع من الفردوس الأعلى من تحت العرش.

الخاتمة:

الأنهار من مقومات الموارد البشرية والبنى الإنسانية، والحياة الاقتصادية والتجارة، وروح الزروع
 والبستان، وسلعة الغذاء، ومصدر الطاقة والأنوار، وكفالة العيش وتوفير المعارف والعلوم الشرعية والتعليم
 والصحة والأمن والاستقرار، فكم كانت سفيرا بين الدول، وحدا وطنيا بين البلدان، وأهتم الأدباء من الشعراء
 والكتاب بالأنهار وثمراتها، فنظموا القوافي وألفوا الكتب، والأنهار محط أنظار الملوك والرؤساء فالحياة مع
 الأنهار من أروع صور الحياة القديمة والحديثة في هذا الكون، ولقد وثق هذا البحث لصور وأنواع ومعاني
 الحياة في ظلال الأنهار، واستعمل الشعراء الأنهار في مباحث البيان من المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية
 والتورية، ومن خلال الوقوف علي لفظ الأنهار جمعه ومفرده في الشعر العربي نجد أن تلك المفردات
 استعملت في: الفخر والمدح والهجاء والذم، والكدية، ووصف الطبيعة، والهوى، والفكاهة والهزل والترويح
 والتسلية، والحكمة والمستحيل، ولقد جاء ذكر الأنهار في القرآن العظيم والسنة النبوية لما لها من دور في
 حياة الناس ولقد تعددت معاني واستعمالات الأنهار في الذكر الحكيم وجاءت في موضوعات مختلفة، وشملت
 تلك المعاني: إظهار السرور، وبيان قدرة الله في تفجير الأنهار من الصخور والحجارة، وإظهار النعم وإذهابها،
 وجزاء الأتقياء يوم الحساب من عباد الله ومن سبق من المجاهدين والمهاجرين والأنصار والصادقين، وزينة
 الجنات فهي تجري من تحتها، والهلاك والتدمير والوعد والوعيد، ووصف الجنة ومراتب الإخوان، وفضل الله
 وتسخيره وقدرته وإتمام نعمه والتحدي وإعمار الأرض، والزينة والتفاخر، وسقاية الزروع، والبلاء والامتحان،
 وفي السنة النبوية جاءت الأنهار لضرب الأمثال وتقريب المعنى، وبيان ما كان من أصل الأنهار واسمه في الجنة

ومعناه في الدنيا، وأن جفاف الأناهار من علامات الساعة، وأن الأناهار روافد لبحار الملذات وتنبع يوم القيامة من الفردوس الأعلى من تحت عرش الرحمن، وهي من مقاييس إخراج الزكاة.

أهم النتائج:

الأناهار من مقومات الموارد البشرية والبنى الإنسانية والاقتصاد وحد وطني وسفير بين الدول. الأناهار مصدر الغذاء والطاقة والمعارف والعلوم والصحة والأمن، وإعجاب الملوك والرؤساء. استعمل الشعراء الأناهار في مباحث البيان من المجاز، والاستعارة والتشبيه والكناية والتورية. من أدب الأناهار: الفخر، والمدح، والهجاء، والكديّة، والطبيعة، والفكاهة، والحكمة والمستحيل. الأناهار في القرآن: لبيان قدرة الله، والجزاء والثواب، والزينة والهلاك والوعيد، والوصف والتحدي وإعمار الأرض، والتفاخر، والسقاية والبلاء والامتحان والإعجاز والبشرى والسرور. الأناهار في السنة للأمثال وتقريب المعنى، والاسم في الجنة ومعناه في الدنيا، وعلامات الساعة، وملذات الجنة، ومقياس الزكاة، وإثبات صفة عرش الرحمن، وأصلاً لمنبع من الجنة.

التوصيات:

- الوقوف عند القرآن الكريم لمعرفة ما جاء فيه من معاني الأناهار ومدلولاتها.
- الوقوف عند السنة النبوية لمعرفة الاستعمالات المختلفة للفظ الأناهار.
- الاطلاع على الأدب العربي شعره ونثره لمعرفة ما كتبه الشعراء والكتاب عن الأناهار.

الهوامش:

- (1) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ج1، ص72، الجزء يأتي بعد عنوان الكتاب مباشرة
- (2) أبو عبيد البكري، سمط اللآلئ في شرح أمالي الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج1 ص589
- (3) عماد الدين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر قشم شعراء المغرب والأندلس، الدار التونسية للنشر، 1971م، ج12، ص311
- (4) محمد لسان الدين الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المرتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1980م، ج22 ص250
- (5) شهاب الدين التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م، ج1 ص288
- (6) عبد القادر البغدادى، خزنة الأدب ولباب لسان العرب، ت عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط الرابعة، 1418هـ ج1، ص211
- (7) محمد صديق خان، نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى، 1338هـ ص126
- (8) رزق الله شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة 1999م، ص215
- (9) جسين عطوان، الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، طبعة ثانية منقحة 1409هـ، 1989م، ص227
- (10) الرقيق القيرواني، قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور، بدون دار، بدون تاريخ، ص129
- (11) صاحب بهاء الدين علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، التذكرة الفخرية، الناشر كامل سلمان الجبوري، بدون تاريخ، ص90
- (12) الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي، المحاضرات في اللغة والأدب، دار العرب، تونس، بدون تاريخ، ص76
- (13) شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ ج8، ص84
- (14) المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، الفرج بعد الشدة، دار صادر، بيروت، 1398هـ ج1 ص345
- (15) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، من غاب عنه المطرب، المطبعة الأدبية، بيروت، 1309هـ، ص56
- (16) الحسين بالراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، شركة دار الأرقم بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ، ج2، ص688

- (17) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي، الحماسة المغربية، دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الأولى، 1991م، ج2، ص1175
- (18) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج9 ص178
- (19) سورة البقرة، الآية 25
- (20) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان تفسیر الطبري، ت أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بدون دار، الطبعة الأولى، 1420هـ ج1، ص383
- (21) سورة البقرة، الآية 74
- (22) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، بدون تاريخ، ج1، ص65
- (23) سورة البقرة، الآية 266
- (42) منصور بن أحمد السمعاني، تفسیر السمعاني، ت ياسر وغنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ ج1 ص271
- (25) سورة آل عمران، الآية 15
- (26) الحسين بن مسعود البغوي، تفسیر البغوي، (مجموعة من المحققين) دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الرابعة، 1417هـ ج1، ص418
- (27) سورة آل عمران، الآية 195
- (28) أحمد بن محمد الفاسي، البحر المديد في تفسیر القرآن المجسد، ت أحمد رسلان، القاهرة، الطبعة 1419هـ، ج1، ص454
- (29) سورة المائدة، الآية 12
- (30) تفسیر السمعاني، مرجع سابق، ج2، ص21
- (31) سورة المائدة، الآية 119
- (32) عبد الكريم بن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، ت إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ج1، ص458
- (33) سورة الأنعام، الآية 6
- (34) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسیر السمرقندي بحر العلوم، بدون تاريخ، ج1، ص435
- (35) سورة الأعراف، الآية 43
- (36) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسیر الوسيط، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج1 ص661
- (37) سورة التوبة، الآية 100
- (38) تفسیر السمرقندي، مرجع سابق، ج2، ص83
- (39) سورة الرعد، الآية 35
- (40) عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ت عبد الرزاق مهدي، الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، 1422م، ج2، ص498

- (41) سورة إبراهيم، الآية 32
- (42) علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ت. محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1415هـ ج3، ص38
- (43) سورة الإسراء، الآية 90-91
- (44) عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت. المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1418م، ج3، ص266
- (45) سورة الفرقان، الآية 10
- (46) محمد بن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ت عكاشة، محمد الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط الأولى، 1423هـ، ج3 ص254
- (47) سورة الزخرف، الآية 51
- (48) محمد مكي الأندلسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة بحوث، كلية الشريعة، الشارقة، ط الأولى، 1429هـ، ج10 ص6674
- (49) سورة محمد، الآية 12
- (50) محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي، ت البردوني أَلطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية، 1384هـ ج16 ص235
- (51) سورة القلم، الآية 54
- (52) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج22، ص609
- (53) سورة الكهف، الآية 33
- (54) علي بن محمد الماوردي، تفسير الماوردي النكت والعيون، ت عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج3 ص305
- (55) سورة البقرة، الآية 249
- (56) تفسير البغوي، مرجع سابق، ج1، ص301
- (57) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، 1422هـ ج1 ص112
- (58) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4 ص2183
- (59) نعيم بن حماد المروزي، الفتن، ت. سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط الأولى، 1412هـ، ج2 ص528
- (60) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد ت. شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1421هـ، ج33 ص246
- (61) المرجع السابق، ج23 ص32
- (62) المرجع السابق، ج37، ص369